عُمَر مَرعي



برقيات من الشّرق إلى الغرب

شِعر

برقيات
من الشرق إلى الغرب

عُمَر مَرعي

بَرقيّاتٌ مِن الشّرق إلى الغرب

شِعر

الإهداء إلى ابنتي نهلة

لَمْ تَقُمْ حَـــرْبٌ ضَرُوسٌ، أَبَــدَاً، إلاَّ لِمَــالِ
إنَّ كُــلَّ ٱلشَّرِّ وَٱلْأَحْقَـادِ فِي مُلْكِ ٱلْغِــلَالِ
لَا يقُـومُ ٱلْحُبُّ، بَـيْنَ ٱلنَّــاسِ ، إلَّا بِنَـوَالِ
إنَّ ثَوْبَ ٱلْعُرْسِ أَحْلَى مِنْ عَرُوسٍ وَخِصَالِ
وَهُــوَ أَغَــلَى مِـنْ عُـلُومٍ وَفُنُــونٍ وَجَمَــالِ
أَيُّهَـا ٱلتَّـاجِـرُ: مَـا جُمِّـعَ مَـالٌ مِنْ حَــلَالِ .

مِنْ أَيْنَ، وَمَتَى؟

يُوَلْوِلُ آلانْبِهَارُ فِي وِدْيَانِ ذَاتِي
تَتَرَاكَمُ، فِي وَجْهِي، عُصَارَةُ آللَّيْلِ آلْمُخْتَنِقِ
تَسْتَنْجِدُ أَعْصَابِي بِآلْمُتَّكَآتِ لِكَيْ تَنْهَضْ
يَازَمَاناً لَسْتُ أَدْرِي مَتَى بَدَأَتْ بَـرَاعِمُهُ تَتَمَلْمَـلُ؟ وَمِنْ أَيْنَ؟
يُشْقِينِي أَنِّي لَا أَعْلَمُ تَارِيخَ وِلادَةِ آلزَّمَانِ وَآلْمَكَانْ
يَـــا سَيِّـدَةَ آلنَّحْتِ، أَيَّتُهَـــا آلْعَنَـــاصِرُ، مِنْ أَيْنَ جِئْتِ بِآلإِزمِيلْ

وَبِٱلْيَدِ ٱلسَّاحِرَةِ ٱللاَّمَعْقُولَهْ
يَا سَيِّدَةَ ٱلرَّسْمِ ، مِنْ أَيْنَ لَكِ بِٱلرِّيشَةِ ، وَبِٱلأَلْوَانِ
ٱلَّتِي لَا تَنْضُبْ
إِنَّ فِي كُلِّ نُقْطَةٍ غَابَةً لَا مَحْدُودَةً مِنْ مَرَاقِصِ
ٱلأَسَاطِيرِ ٱلْمَحْسُوسَهْ
وَفِي كُلِّ ذَرَّةٍ مَهْرَجَانَا
وَفِي كُلِّ غُصْنٍ مُسَابَقَةً لِأَحْلَى ٱلأَعْرَاسْ
يَا تَوْأَمَ ٱلزَّمَانْ ،
أَيَّتُهَا ٱلْهَيُولَى ٱلَّتِي تَطَالُهَا كُلُّ أَحَاسِيسِي
يَا عَرُوسَ ٱلزَّمَانِ ٱلَّتِي لَا تَشِيخُ ، وَٱلَّتِي تُولَدُ
مَعْ زَوْجِهَا ، فِي كُلِّ لَحْظَهْ
اَلدَّهْشَةُ تَدُورُ حَوْلَ نَفْسِهَا
كَيْفَ ٱكْتَسَى ٱلْفَرَاغُ بِٱللَّحْمِ ، بِالدِّمَاءِ ، بِٱلْعِظَامْ

مِنْ أَيِّ نَبْعٍ تَدَفَّقَ ٱلنَّبْعُ

آهِ، أَكَادُ أَتَقَيَّأُ ذَاتِي

كَفَأْرٍ صَغِيرٍ تَبْتَلِعُهُ أَفْعَى ٱلْوَقْتْ

يَحْمِلُ ٱلْعَرُوسَانِ: ٱلزَّمَانُ وَٱلْمَكَانُ فِي جَيْبِهِمَا،

أَسْرَارَ ٱلْبَخُورِ وَٱلنَّارْ

وَأَسْرَارَ وِلَادَاتِ ٱلْمَزْجِ ٱللَّامُتَنَاهِي

لِأَنْفَاسِ ٱلْعَنَاصِرْ

وَعُقُولَ ٱلذَّرَّاتِ ٱلصُّغْرَى،

ٱلَّتِي تَحْمِلُ هُمُومَ ٱلْعَقْلِ ٱللَّامُتَنَاهِي ٱلأَبْعَادْ

يَا سَفِينَةَ ٱلْفَضَاءِ ٱلأَرْضِيَّهْ،

وَيَا سَرِيرَ ٱلأَحْلَامِ يَلْهَثُ وَرَاءَ ٱلنُّورْ،

كَمَا تَلْهَثُ ٱلأَمْوَاجُ فَوْقَ أَنَامِلِ ٱلأَضْوَاءْ،

خَلْفَ قُبَلِ ٱلنَّارْ،

شَكْلُ ٱلْعُصْفُورِ يُكَوِّنُ شَكْلَ ٱلظِّلْ
وَٱلْفِكْرُ وَلِيدُ لِرَفِيفِ أَجْنِحَةِ ٱلأَشْيَاءْ
لَكِنَّ أَنِينَ حَيْرَتِي يَزْدَادْ
حِينَ أَجِدُ أَنَّ ٱلثَّمَرَةَ ٱلنَّاطِقَةَ بِأَحْشَاءِ ٱلأُفُقِ،
هِيَ أَهَمُّ مِنْ شَجَرَةِ ٱلأُفُقِ
يَا لِرَوْعَةِ ٱلعَرُوسْ
فِي كُلِّ جُزْءٍ مِنْ مَسَامِّ جِلْدِهَا قَارَّةٌ مِنْ أَسْرَارْ
تَتَوَلَّدُ ٱلْحَيَاةُ مِنْ صَهِيلِ ٱلنُّورِ، فَوْقَ جِلْدِ أُمِّي
يَا مِغْزَالَ ٱلنَّبْضِ، أَيَّتُهَا ٱلأُمُّ ٱلْحَبِيبَهْ
يَا سَفِينَةً مِنْ طِينٍ وَحُبٍّ وَمَاءْ
لِمَ ٱخْتَرْتِ لِيَ ٱلوَعْيَ بِذَاتِي وَبِكِ
وَلِمْ آثَرْتِ ذَوَبَانَ ذَاتِي فِي تَمَثُّلِ ٱلرَّبِيعْ
أَتَسَلَّقُ هَامَةَ ٱلْوُجُودِ بِخُطىً وَاثِقَاتْ

ثُمَّ لَا أَلْبَثُ أَنْ أَتَرَاخَى ،
كَحَبَّةِ قَمْحٍ بَيْنَ فَكَّيِ ٱلْمِطْحَنَةِ ٱلأَبَدِيَّهْ.
يَنْتَصِرُ طَلَاقُ أُذُنِي مِنْ حَنَاجِرِ أَطْفَالِي
وَيَنْتَصِرُ طَلَاقُ عَيْنَيَّ
وَيَنْتَصِرُ طَلَاقُ أَنَامِلِي مِنَ ٱلذَّوَبَانِ، مِنْ غَابَاتِ ٱلْعَاجِ
وَٱلرُّخامِ ٱلْمُهَلَّلْ
بِدُونِ ٱخْتِيَارِهِمَا عَيْنَايَ تَتَخَلَّيَانِ عَنْ رُؤْيَةِ ٱلرَّايَةِ
ٱلزَّاحِفَهْ
فَوْقَ خُيُولِ ٱلْحَقِّ ٱلْمُنْتَصِرَةِ لِثَدْيِ ٱلأَرْضِ ٱلْمَشَاعِيِّ
هَلُمُّوا أَيُّهَا ٱلْفُقَرَاءْ
فَإِنَّهُ لَيَسْهُلُ عَلَيْكُمْ إِدْخَالُ حَفَّارِ ٱلْقُبُورِ إِلَى ٱلْمَقْبَرَهْ
لِأَنَّهُ ٱعْتَادَ أَنْ يَدْخُلَهَا فِي كُلِّ يَوْمْ
يَا رَحِمَ ٱلتُّرابِ ، يا أُمَّ نَبْضِي

يَا قُبْلَةَ ٱلنُّورِ لِمَبِيضِ ٱلتُّرَابْ
تَأَمَّلِي كَيْفَ أَنَّ أَخِي يُذِيبُ ٱلْحُبَّ وَٱلْمُوسِيقَى
وَيُذوِّبُ عَظْمَةَ ٱلْحَوَاسْ
ثُمَّ يَصُبُّهَا
لُقْمَةً فِي فُوَّهَاتِ ٱلْمَدَافِعْ
تَصَوَّرِي يَا سَرِيرَ ٱلأَحْلَامْ
يَا أُمِّي
كَيْفَ يَتَرَافَقُ هَدِيرُ ٱلْمَدَافِعِ مَعْ صَرَخَاتِ ٱلْوِلَادَاتْ
كَيْفَ يَتَـوَاكَبُ ضَجِيجُ ٱلفُـولَاذِ مَـعْ وِلَادَةِ ٱلأَنْبَـاءِ
ٱلْعَظِيمَهْ،
فِي شِفَاهِ ٱلْمُخْتَبَرَاتْ
أَيَّتُهَا ٱلْمَجَرَّاتُ ٱلْمُتَكَدِّسَهْ
عَلِّمِي أَخِي

أَنَّ ٱلْأُقْحُوَانَةَ يَكْفِيهَا دَنٌّ وَاحِدٌ مِنَ ٱلْمَاءْ
وَأَنَّ ٱلْمِخَـدَّةَ لَا تَسْتَـوْعِبُ أَكْـثَرَ مِنْ قَـارُورَةِ عِـطْرٍ فِي ٱلْيَوْمْ.

الْحُبُّ وَٱلْفَضِيلَةُ

عَلِمْتُ بِأَنِّي وُلِدْتُ، بِدُونِ ٱسْتِشَارَهْ
وَأَنِّي أَمُوتُ، بِدُونِ ٱخْتِيَارِ
يَا لِثَوْرَتِي بَعْدَ مَخَاضِ ٱلْإِحْبَاطْ
وَلَكِنْ، عَزَائِي بِأَنَّ ٱلْوُجُودَ ٱصْطَفَاكِ
قُبَيْلَ ٱخْتِيَارِي
فَأَنْتِ نَوَاةُ ٱلزَّمَانِ
وَأَنْتِ ٱتِّجَاهُ لِكُلِّ ٱتِّجَاهٍ
وَبُعْدُ لِأَبْعَادِ هَذَا ٱلْوُجُودِ ٱلْغَنِيِّ

وَحْدَةُ ٱلْكَوْنِ ٱسْتَقَامَتْ فِي عُيُونٍ حَالِمَاتٍ
كَانَتِ ٱلدُّنْيَا كَقَاصٍ ، دُونَ قَانُونٍ وَقَاعَهْ
قَبْلَ أَنْ يُولَدَ عِشْقُ
تَجْبَلُ ٱلأَنْوَارُ بِٱلضَّوْءِ فَيقْتَاتُ ٱلزَّمَانُ
يَبْدَأُ ٱلكَوْنُ لَدُنْ يُولَدُ حُبٌّ بِٱلْبَدَاهَهْ
عِنْدَمَا يُولَدُ حُبٌّ وَفَضِيلَهْ
وَقْتَهَا، تُفْتَحُ أَبْوَابُ ٱلزَّمَانْ
خَيْمَةُ ٱلسُّلْطَةِ تَحْلُو قُرْبَ خَيْمَاتِ ٱلْفَضِيلَهْ
أُخْرِسُ ٱلسَّمْعَ وَأَبْصَارِي ، وَأَنْفِي يَسْتَقِيلْ
حُنِّطَ ٱللَّمْسُ وَهَدْهَدْتُ مَذَاقِي
كَيْ أُرِيحَ ٱلنَّفْسَ مِنْ أَعْبَاءِ عِشْقٍ يَتَلَوَّى
يَا غِلَافَ ٱلْكَوْنِ، يَا أَنْتِ، إِلَى أَيْنَ هُرُوبِي؟
يَا غِلَافَ ٱلثَّغْرِ ٱلْبَاسِمْ

أَخْرَساً كانَ ٱلْوُجُودُ

قَبْلَ أَنْ يُولَدَ نُطْقٌ فِي ٱلْعُيُونِ

تُولَدُ ٱلثَّوْرَةُ مِنْ أَجْلِ شِفَاهٍ رَاجِيَاتٍ، دُونَ نُطْقٍ

يُولَدُ ٱلْإِطْلَاقُ فِي ثَغْرِ فَضِيلَهْ

مَا أَرْوَعَ حَبِيبَتِي حِينَما تُعَلِّمُنِي أَنَّ نِصْفَ شِبَعٍ

خَيْرٌ مِنْ شِبَعٍ وَجُوعٍ

فَٱلأَرْضُ، وَكُلُّ نُجُومِ ٱلْكَوْنِ تَتَلَقَّى ٱلأَنْـوَارَ مِنْ وَجْهٍ

وَاحِدْ

حَنْجَرَةُ ٱلْبَلَابِلِ أَوْتَارُ رِيشَتُهَا حَنْجَرَةُ حَبِيبَهْ

وَيُقَالُ يَضِيعُ ٱلْمَكَانْ

وَيُقَالُ يَضِيعُ ٱلزَّمَانْ

يَبْدَأُ ٱلزَّمَانُ بِطَرْفَةِ لَحْظٍ جَمِيلْ

وُجُودُكِ قُطْبُ

وُجُودُكِ يَا بُعْدَ ٱلْأَبْعَادْ

تَحَوَّلَ لِنُورٍ أَحْدَبَ مُنْجَذِبِ

أَقْوَاسُ ٱلْقُزَحِ تَنْبُتُ فِي ٱلنَّدَى ٱلْمُشِعِّ

يَتَكَوَّنُ أُفْقٌ قُزَحِيٌّ لَامَحْدُودُ ٱلْأَطْيَافْ

وَيَزْحَفُ، صَوْبَ ٱلنورِ، ٱلنُّورْ

يَا نَحَّاتَ ٱلْعِطْرِ، وَيَا رَسَّامَ ٱلصَّوْتِ، يَا أَنْتَ

يَا جِلْدَ ٱلْحَبِيبَهْ،

ٱلْقُشَعْرِيرَةُ ٱلْحُلْوَهْ

تَزْحَفُ فِي جِلْدِ ٱلْكَوْنِ

أَتَخَيَّلُ أَنِّي بَحَّارٌ فِي نَهْرِ ٱلنِّيلْ

أَمُدُّ يَدِي لِقِمَّةِ ٱلْهَرَمِ ٱلْأَكْبَرْ

تَقُصُّ حَوْلِي «كْلِيُوبَاتْرَا»(*)

(*) ملكة مصر (٥١ ـ ٣٠ ق.م). من سلالة البطالسة.

أَسْرَارَ ٱلصَّحْرَاءِ

وَأَسْرَارُ ٱلْغَابَاتِ تَتَكَدَّسُ فَوْقَ ضُلُوعِي

لَا تَلُمْنِي يَا ٱمْرَأَ ٱلْقَيْسِ ، إِذَا قَبَّلْتُ جُدْرَانَ خِيَامِكْ

غَفَرْتُ لَكَ يَا أَيُّهَا ٱلرَّبْعُ ٱلْخَالِي حَتَّى إِنْ كُنْتَ سَجَّانِي

أُحِبُّكَ أَكْثَرَ عِنْدَمَا تُصْبِحُ سَجَّانِي

يَنْهَزِمُ ٱلنَّوْمُ أَمَامَ صِرَاعِ ٱلْقَلَقْ

وَتَدُوسُ آذَانِي أَقْدَامُ ٱلصَّبَاحِ

تَكَادُ تُصَفِّينِي ٱلْأَزْمَهْ

حَتَّى فِي أَوْقَاتِ ٱلشُّغْلِ ، وَفِي أَوْقَاتِ ٱلْقَيْلُولَهْ

مَا أَرْوَعَنِي يَصْرَعُنِي ٱلْحُبْ

مَا أَجْمَلَنِي يَجْذِبُنِي عِشْقُ ٱلْأَصْوَاتِ

إِزْمِيلُ ٱلْحُبِّ يُحَوِّلُنِي وَشْماً أَخْضَرْ

وَشْماً قُزَحِيّاً فَوْقَ زُنُودِ ٱلْمَحْبُوبَهْ

يَسْتَدْعِينِي ٱلْبَحْرُ، كَيْ أُصْبِحَ أَشْرِعَةً وَرْدِيَّهْ
كَيْ أُصْبِحَ زَوْرَقاً، سُفُناً، تَحْمِلُ فَخَّارَاتٍ أَثَرِيَّهْ
أَزْرَعُ فِيهَا ٱلزَّهْرَ، وَأَزْرَعُ فِيهَا أَعْشَاشَ ٱلْكَنَارَاتْ
أَتَمَثَّلُ فِي طِينِ ٱلنِّسْبِيَّةِ وَٱلْمُطْلَقْ
سُفُناً وَزَوَارِقَ تَحْمِلُ صَالاَتٍ رُومَانِيَّهْ
وَمَسَارِحَ فَلْسَفَةٍ شِعْرٍ، أُسْطُورَاتٍ يُونَانِيَّهْ
أَتَخَيَّلُ أَنَّ شِرَاعِي يَحْمِلُ طَرْفَةَ لَحْظٍ، غَمْزَةَ عَيْنٍ، فِي
صَحْرَاءٍ بَدْوِيَّهْ
وَأَظُنُّ بِأَنِّيَ جُرْحٌ يَنْزِفُ فِي صَحْرَاءٍ عَرَبِيَّهْ
أَتَخَيَّلُ أَنِّي أَحْمِلُ مِيرَاثَ «آبْنِ رَبِيعَةَ»، «آبْنِ ٱلْمُلَوَّحْ»
وَأَحْمِلُ بَسَمَاتِ ٱلسُّيُوفِ ٱلْمُنْتَصِرَهْ
فِي سَاحَاتِ ٱلْخَيْرِ، وَفِي سَاحَاتِ ٱلْمُثُلِ ٱلْعُلْوِيَّهْ.

ٱلْوَرْدَةُ ٱلْخَضْرَاءُ

لَمْ تَعُودِي كُرَوِيَّهْ

يَا أَرْضُ، فَٱنْتَصِبِي سَوِيَّهْ

وَٱسْتَبْشِرِي،

دَنَتِ ٱلرِّيَاحُ ٱلْمَوْسِمِيَّهْ

وَدَنَا قِطَافُ ٱلرَّأْسِ، رَأْسِ ٱلتَّابِعِيَّهْ

يَا أَرْضُ، فَٱنْتَصِبِي سَوِيَّهْ.

مَا عُدْتِ، يَا كُرَوِيَّةً

كُرَوِيَّهْ،

فَبَسَطْتِ صَدْرَكِ لِلنَّهَارِ يَعُمُّ أَرْجَاءَ ٱلْبَرِيَّهْ
وَتَخَلَّتِ ٱلأَطْيَارُ عَنْ رِيشَاتِهَا لِتَطِيرَ مِنْ عَزْمٍ
بِلَا رِيشٍ ، عَلَى أَرْضِي وَفِي أُفْقِي
أَيَا أَرْضاً جَنُوبِيَّهْ
مَا أَجْمَلَ ٱلْعَرَبِيَّ يَحْمِلُ وَرْدَةً خَضْرَاءَ، يَا وَرْدَ
ٱلرُّبُوعِ ٱلْيَعْرُبِيَّهْ
مِنْ نَبْعِ «حِطِّينٍ»(*) تُرَوَّى
مِنْ «عَيْنِ جَالُوتٍ»(**) بَرَاعِمُهَا تُقَوَّى
تُحْمَى بِسَيْفِ ٱلْقَادِسِيَّهْ (***)
يَا أَرْضُ، فَٱنْتَصِبِي سَوِيَّهْ
وَٱسْتَبْشِرِي ، دَنَتِ ٱلرِّيَاحُ ٱلْمَوْسِمِيَّهْ .

(*) حطّين: قرية انتصر عندها صلاح الدّين على الصّليبيين
(**) عين جالوت: موضع انتصر فيه «بيبرس» على المغول
(***) القادِسِيَّة: موقع انتصر فيه المسلمون على الفرس

يا قَلْبَ ٱلتَّاجِر

أَشِبَاكَ ٱلنُّوتِيِّ ٱلْفَاجِرْ
يَا فَأْسَ ٱلْفَحَّامِ ٱلْعَاهِرْ
يَا أَنْتَ، أَيَا قَلْبَ ٱلتَّاجِرْ
قَدْ عَامَ جَلِيدُكَ يَا بَحْرُ
يَحْمِي بِالدِّفْءِ ٱلسُّمَّارَا
سُمَّارُ ٱلْأَسْمَاكِ تُهَاجِرْ
فَتَعَلَّمْ، يَا قَلْبَ ٱلتَّاجِرْ
وَبُذُورُ ٱلْغَابِ لَهَا جُنْحُ

يَحْمِلُهَا آلرِّيحُ يُنَقِّلُهَا
آلْغَابُ مِنَ آلْجُنْحِ تَكَاثَرْ
بَلْ كُنْ كَزُجَاجَاتِ آلْمُجْهِرْ
فَآلنُّورُ، مِنَ آلرَّمْلِ ، تَفَجَّرْ
فَتَعَلَّمْ يَا رَبَّ آلْمَتْجَرْ
أَيُقَارَنُ فُولاَذٌ يَسْقِي آلصَّحْرَاءْ
يُلَوِّنُهَا نَبْضاً أَخْضَرْ
مَعَ فُولاَذٍ، جَشَعِ آلتُّجَّارِ، وَيَسْتَكْبِرْ
تَتَنَفَّسُ رِئَةُ آلأَحْجَارِ
يَتَنَفَّسُ دَفْقُ آلأَنْهَارِ
فَآلْمَاءُ يُوَشَّحُ بِبُخَارِ
وَيُلَفُّ آلْمَرْجُ بِدِفْءٍ، فِي فَصْلِ آلْبَرْدْ
آلْعَطْفُ مِنَ آلصَّخْرِ تَحَرَّرْ

فَتَعَلَّمْ، يَا قَلْبَ ٱلتَّاجِرْ
دَرْبُ ٱلْعُشَّاقِ يُجَمِّلُهُ حَجَرُ ٱلْمَرْمَرْ
إِزْمِيلُ ٱلصَّلْبِ يُفَتِّحُ أَزْهَارَ ٱلْمَرْمَرْ
كَٱلزَّنْبَقِ يَفْتَحُ جَفْنَيْهِ ٱلنُّورُ ٱلْبَاهِرْ
فَتَصَوَّرْ يَا قَلْبَ ٱلتَّاجِرْ.

عُرُوبَةُ لُبْنَانَ

سَأَدُقُّ أَبْوَابَ ٱلزَّمَانْ

وَأَصِيحُ وَضَّاحَ ٱلْبَيَانْ

أَرَزَاتُ لُبْنَانَ ٱلْعُلَا

عَرَبِيَّةُ ٱلدَّمِ وَٱللِّسَانْ

جَبَلِيَّةٌ بِشُمُوخِهَا

حَضَرِيَّةُ ٱلْيَدِ وَ ٱلْجَنَانْ

أُمَمِيَّةٌ بِشُمُولِهَا

لَا ، لَا تُهِينُ وَلَا تُهَانْ

قَدْ عَلَّمَتْهَا ٱلشَّمْسُ كَيْفَ يُوَزِّعُ ٱلْقَلْبُ ٱلْحَنَانْ

فَٱلشَّمْسُ تُرْسِلُ نُورَهَا يَنْسَابُ مُنْطَلِقَ ٱلْعِنَانْ

لَا تَبْتَغِي ثَمَناً لَهُ، مَعَ أَنَّهُ أَصْلُ ٱلْكِيَانْ

وَطَنِي! بِلَا وَطَنٍ أَنَا، فَٱلدِّرْهَمُ ٱلْوَطَنِيُّ فَانْ

خُبْزِي يُقَيَّمُ بِٱلدُّولَارِ وَبِـ «النْيُوجِرْسِي»(*) يُسْتَعَانْ

وَحُكُومَةُ ٱلظِّلِّ ٱسْتَكَانَتْ لِلْمَذَلَّةِ وَٱلْهَوَانْ

جَعَلُوا ٱلْوَدَائِعَ بِٱلدُّولَارِ وَشَيَّدُوا مِنْهُ ٱلْجِنَانْ

ثُمَّ ٱسْتَعَادُوهَا بِفَائِضِ رِبْحِهِمْ، يَا لَلْهَوَانْ!!

إِنَّ ٱلتَّمَلُّقَ، فِي بِلَادِي، صَارَ شُرْطِيَّ ٱلزَّمَانْ

إِنَّ ٱلتَّزَلُّمَ فِي بِلَادِي، صَارَ سُلْطَانَ ٱلْمَكَانْ

يَا حَسْرَةَ ٱلْأَوْطَانِ تُحْكَمُ بِٱلتَّنَاوُبِ وَٱلرِّهَانْ

الظُّلْمُ يَرْعَى أُمَّتِي، وَٱلْعَدْلُ فِيهَا لَا يُصَانْ

(*) بارجة حربيّة قامت بقصف مدينة بيروت ومواقع كثيرة في جبل لبنان.

يَا شَعْبُ، عُدْ لِلْعَدْلِ ، إِنَّ ٱلْعَدْلَ صُنْدُوقُ ٱلضَّمَانْ
عُودِي لِحُبٍّ، ضَيْعَتِي؟ فَٱلْحُبُّ مِفْتَاحُ ٱلأَمَانْ
إِنْ فَاحَ عِطْرٌ فِي ٱلْجَنُوبِ تَنَشَّقَتْهُ «كِسْرَوَانْ»(*)
«بِبْلُوسُ(**) يَا «قَرْطَاجُ»(***) صِهْرُكِ،
بَارِكِي هَذَا ٱلْقِرَانْ
وَأَتَى ٱلْفِينِيقِيُّونَ مِنْ شِبْهِ ٱلْجَزِيرَةِ بِٱئْتِمَانْ
أَنْ عَلَّمُوا ٱلْكَوْنَ ٱلْحُرُوفَ وَزَنَّرُوهُ بِٱللُّبَانْ(****)
فَٱلْحَرْفُ نَايٌ لِلشُّعُوبِ، بِهِ يُقَامُ ٱلْمِهْرَجَانْ.

(*) قضاء في محافظة جبل لبنان، مركزه جونية.
(**) بيبلوس: أقدم المدن الفينيقيّة، وتدعى حاليّاً «جبيل».
(***) مدينة فينيقية أسستها «ديدون» أخت «بغماليون»، ملك صور، القرن التاسع قبل الميلاد، في تونس.
(****) اللُّبَانُ: نبات من الفصيلة البخوريّة يفرز صمغاً، ويسمّى الكُنْدُر.

قَلَقُ ٱلْإِنْسَانِ

فَرَاشَةَ ٱلْحَرِيرِ، يَامِعْطَاءُ

يَا كَرَمَ ٱلْجُذُورْ

وَرَحْمَةَ ٱلْمَدَافِئْ

يَا نِعْمَةَ ٱلْمَدَاخِنْ

نَامِي عَلَى صَدْرِي

لِأُدَفِّئَ وَجْهَ ٱلأَطْفَالِ

وَأَجِنَّةَ أَرْحَامِ ٱلنِّسْوَهْ

فَٱحْتَضِنِي، يَا شَمْسُ، شِفَاهِي

فَأَنَا رَحِمُ ٱلْإِنْسَانِ، سَرِيرُهْ
فَأَنَا رَهْنٌ لِذِرَاعَيْكِ
أَتَلَوَّى فِي دِفْءِ سَرِيرِكْ
فَأَنَا رَهْنٌ لِأَنَامِلِهَا
رَهْنٌ لِفِرَاشِ ٱلْأَضْوَاءِ
قَبِّلْنِي يَا ضَوْءُ، تَوَشَّحْ
وَجْهِي، وَتَوَشَّحْ أَنْفَاسِي
فَأَنَا أُمٌّ أَعَزِّ ٱلْخَلْقِ
وَلِأَجْمَلِ تَكْوِينٍ صُوَرْ
لِأُوَلِّدَ وَرْداً زَهْرِيّاً
لِأُوَلِّدَ زَهْراً عِطْرِيّاً
لِنُحُوكَ حَنَاجِرَ أَطْيَارٍ
تَقْتَاتُ بِدَمْعِ ٱلشَّمْسِ ٱلْأَحْمَرْ

إِذْ تَبْكِي حِينَ تُوَدِّعُنِي ،

وَتُوَدِّعُ جُزْءاً مِنْ جَسَدِي

قَبِّلْنِي ، يَا ضَوْءُ ، تَمَدَّدْ

لِنُعَمِّرَ أُولَى صَرخَاتِ آلأَطْفَالِ تُسَقِّي أُذُنَيَّ

لِنُعَمِّرَ سَاحَةَ مَدْرَسَةٍ

تَحْبَلُ بِضَجِيجِ آلأَطْفَالِ

تَحْبَلُ بِآلْعِلْمِ وَبِآلرَّأْفَهْ

قَبِّلْنِي ، يَا ضَوْءُ ، تَوَشَّحْ

دَعْ رَمْلِي يَسْقِي أَسْمَاءً

كُتِبَتْ بِأَنَامِلِ عُشَّاقِي آلسَّكْرَى

عُشَّاقِ آللَّيْلِ ، آلسُّمَّارِ

قَبِّلْنِي يَا ضَوْءُ ، وَقَبِّلْ

ذَرَّاتِ آلْكَوْنِ آلأَبَدِيَّهْ

عَقْلاً قَدْ مُلِئَتْ وَرَهَافَهْ

تَرْبَاءُ كَوَاكِبِنَا تَاقَتْ
لِحَيَاةِ ٱلْأَرْضِ ٱلْبَشَرِيَّهْ
يَاضَوْءُ، زَرَعْتُكَ فِي خَشَبِي
أَيْقُونَةَ صَدْرٍ وَرْدِيَّهْ
كَمْ أَنِّي، يَا شَمْسُ، شَقِيَّهْ
قَدْ حَوَّلَ إِبْنِي، ٱلْإِنْسَانُ، ٱلْأَنْوَارَ أَتُوناً مَجْنُوناَ
مَا حَاكَ ٱلْأَنْوَارَ لِحَافاَ
بَلْ حَوَّلَهَا رُعْباً أَسْوَدْ
صَارُوخاً مَحْشُوّاً إِثْماَ
ذَنْباً مَحْشُوّاً بِٱلذَّنْبِ
يَمْلَأُ صَدْرِي
يَمْلَأُ قَلْبِي

يَحْشُو أَوْرِدَةَ ٱلأَبْنَاءِ ٱلْوَاعِين

بِرُعْبٍ نَوَوِيّ

يَحْشُو أَوْرِدَتِي بِٱلْآثَامْ

وَيَحْشُونِي رُعْباً أَبْلَهْ

لِأَتُونٍ يَحْشُوهَا رُعْباً

أَشْرِعَةُ ٱلسُّفُنِ ٱلْهَمَجِيَّهْ

صَلَّتْ، سَجَدَتْ، وَدُخَانُ مَعَامِلِهِمْ صَلَّى

صَلَّتْ مَدْخَنَةُ مَعَامِلِهِمْ

لِدُخَانِ ٱلْعَرَقِ ٱلْمَحْرُوقِ

لِدُخَانِ ٱلْعَضَلِ ٱلْمَحْرُوقِ

فَدُخَانُ ٱلْعَرَقِ ٱلْمَحْرُوقِ

لَمْ يُشْبِعْ مَدْخَنَةَ ٱلْمَعْمَلْ

لَنْ يُشْبِعَ شَبَقَ ٱلتُّجَّارِ

تَتَنَهَّدُ شَمْسُ ٱلْإِصْبَاحِ

تَتَنَهَّدُ شَمْسُ ٱلْإِمْسَاءِ

قَالَتْ: «يَا إِبْنِي ٱلْإِنْسَانْ

شُعَاعُ جُفُونِي غِذَاءٌ لِعَيْنَيْكْ

تَقْتَاتُ خُطَاكَ بِدَمْعِ جُفُونِي

بِنَبْضِ فُؤَادِي وَ أَوْرِدَتِي

كُنْ كَٱلإِنْبَاتِ مَشَاعِيًّا

فَمُشَاعٌ سِرُّ ٱلْإِنْبَاتِ».

نَشِيدُ ٱلطِّفْلِ

يَا لِمِغْزَالِ ٱلْحَيَاةِ

هَائِجاً لِي ذِكْرَيَاتِي

هُوَ مِغْزَالٌ مِنَ ٱلطِّينِ، وَمِنْ مَاءٍ مُنَمَّقْ

يَا بُذُورَ ٱلشَّوْقِ وَٱلْإِنْبَاتِ يَدْفُقْ

سَابِحاً تَحْتَ آلضَّبَابِ

تَحْتَ نَجمَاتِ ٱلْهِضَابِ

إِنَّ حُبِّي صِيغَ مِنْ حُبِّ جُذُورٍ لِلتُّرَابِ

مِنْ غِطَاءٍ نَامَ يَحْنُو فَوْقَ طِفْلِ

مِنْ قَمِيصٍ لَيِّنٍ ضَمَّ وَلِيداً

إِنَّهُ أُرْجُوحَةُ ٱلنَّبْضِ بِشَرْيَانِ فُؤَادِي

إِنَّ هَذِي ٱلأَرْضَ قَلْبِي

وَمَدَى ٱلْقُطْبَيْنِ، نَبْضَ ٱلتُّرْبِ، حُبِّي

وَشُعَاعَ ٱلشَّمْسِ، قَلْبَ ٱلشَّمْسِ، قَلْبِي

وَمَدَى ٱلأُفْقِ ٱلْمُنَدَّى ٱللاَّنِهائِيِّ ذِرَاعِي

يَحْضُنُ ٱلأَطْفَالَ كَٱلنُّورِ يُصَلِّي فَوْقَ زَهْرَهْ.

وَحَنِينُ ٱلدَّرْبِ، دَرْبِ ٱلْعُمْرِ يَقْتَاتُ بِأَصْوَاتِ ٱلصِّغَارْ

وَفُؤَادُ ٱلْكَفِّ يَقْتَاتُ بِوَجْنَاتِ ٱلصِّغَارْ

وَٱسْتَحَالَتْ لِشِفَاهٍ أَنْمُلِي

ذَابَتِ ٱلأَنْمُلُ يَا جِلْدَ ٱلصِّغَارْ

ذَابَتِ ٱلأَنْمُلُ فِي فُرْنِ ٱلنَّهَارْ

فَمِنَ ٱلْكَوْنِ أَنَا أَنْقَى وَأَكْبَرْ

يُصْبحُ ٱلْكَوْنُ عَلَى كَفِّي كَأَعْشَاشٍ مِن ٱلْمَاسِ بِهَـا خُبْزٌ
وَسُكَّرْ
شَفَتِي خُبْزٌ مُقَمَّرْ
مَسْمَعِي أُفْقٌ مُعَطَّرْ
وَصِيَاحُ ٱلطِّفْلِ فِيهِ نَحْلَةٌ تَزْهُو وَتَسْكَرْ
بَلْ وَأَحْيَاناً أُصَغَّرْ
لُعْبَةً أُضْحِي بِكَفِّ ٱلطِّفْلِ أَوْ أَحْجَارَ مَرْمَرْ
بِيَدِ ٱلأَطْفَالِ أَزْهُو، أَتَلَوَّى، وَأُسَمَّرْ

الْخَيَّالُ ٱلْعَائِدُ مِنَ ٱلْغَرْبِ

ٱلرَّحْمَةُ تَسْتَجْدِيهَا ٱلنَّعْجَةُ مِنْ سِكِّينِ ٱلْجَزَّارِ
أَجْهِشْ بِبُكَائِكَ يَا تَارِيخَ ٱلنَّبْضْ
ٱلْخَيَّالُ ٱلصَّحْرَاوِيُّ ٱلأَصْهَبُ جَاءْ
ٱلْخَيَّالُ ٱلصَّحْرَاوِيُّ ٱلأَصْهَبْ
ظِـلُّ ٱلظِّلِّ
لَا تَنْفُضْ، لَا تَنْفُضْ شَعْرَهْ
فَرِمَالُ ٱلدَّرَجِ ٱلأَبْيَضِ غَطَّتْ رَأْسَهْ
وَمِخَدَّتُهُ كَانَتْ دَرَجَ ٱلْبَيْتِ ٱلأَبْيَضْ

أَقْسَمْتُ بِأَنَّ مِخَدَّتَهُ ٱلدَّرَجُ ٱلأَبْيَضْ
أَرْقَامُ جَوَازَاتِ ٱلْخَيَّالْ
تَغْتَسِلُ بِمَاء «أَسْكُوتْلَنْدَا»
صَوْتُ ٱلشَّيْطَانِ تَقَمَّصَ إِزْمِيلاً قَلَماً أَهْوَجْ
فِي جَيْبِ ٱلْخَيَّالِ ٱلأَصْهَبْ
إِزْمِيلاً يَحْفِرُ فِي صَخْرِ ٱللاَّ غَايَاتْ
وَيُزَرْكِشُ صَخْرَ ٱللاَّغَـايَاتْ
ٱلْخَيّالُ ٱلصَّحْرَاوِيُّ ٱلأَصْهَبْ
ظِلُّ ٱلظِّلِّ، وَيُغَازِلُ ثَوْبَ ٱلْوَطَنِيَّةْ
فِي «بَازِلَ»(*) تَشْتَعِلُ ٱلنَّارُ
ٱلنَّارُ إِلَهَةُ هَذَا ٱلأَصْهَبْ

(*) بَـازِل أو بَال: مـدينة شـمالِيّ سويسرا عـلى الرّين، عقـد بهـا أوّل مؤتمـر صهيوني.

طَبْعُ ٱلأَصْهَبِ، رَبَّاهُ، طَبْعُ ٱلنَّارِ

يَقْتَلِعُ عُيُونَ فَضِيلَتِنَا

صَوْتُ ٱلْمِذْيَاعِ ٱلْمَخْمُورِ

«ٱلْمِيكْرُوفُونُ» إِلَهٌ مِنْ تَمْرِ

شَارِعُنَا عَادَ إِلَى مَا قَبْلَ ٱلْإِسْلَامِ

آلِهَةُ ٱلتَّمْرِ تَقِيءُ بِسَاحَاتِ ٱلْكَعْبَهْ

وَلِحَافُكِ كُوفِيَّاتٌ يَا «خَيْبَرْ»

وَعَصَاكَ، يَزِيدُ

تُحَطِّمُ رَأْسَ فِلَسْطِينَ

وَتُلَاعِبُ رَأْسَ «ٱلْقُدْسِ» ٱلْمَقْطُوعَهْ

حَبَّاتُ ٱلْمِسْبَحَةِ ٱلرَّقْطَاءُ يَتَلَقَّفُهَا سِلْكٌ أَحْمَرْ

حَبَّاتُ ٱلْمِسْبَحَةِ ٱلْحَمْرَاءْ

قَطَرَاتٌ مِنْ سَيْفٍ أَهْوَجَ يَغْتَالُ أَمِيرَ ٱلْفُقَرَاءْ

جَاءَ ٱلْخَيَّالُ، أَيَا قَوْمِي

يَخْتٌ ذَهَبِيٌّ فِي جَيْبِ ٱلْخَيَّالِ ، وَمَاسُ عَجلَاتُ ٱلْعَرَبَهْ

فِي ٱلْهَوْدَجِ أَوْرَاقٌ سَوْدَاءُ بِلَا أَحْرُفْ

كُتُبٌ بَلْهَاءُ بِلَا عُنْوَانْ

مَاصَافَحَتِ ٱلْكُتُبُ ٱلسَّوْدَاءُ أَصَابِعَ «غَاغَارِينْ»(*)

ٱلْجَهْلُ ٱخْتَالَ فَلَمْ يُرْسِلْ سُفَرَاءَ إِلَى دَارَ ٱلْعِلْمِ

أَجْهِشْ بِبُكَائِكَ يَا تَارِيخَ ٱلنَّبْضْ

فَدُمُوعُ ٱلنَّفْطِ تَسِيلُ عَلَى أَبْوَابِ «ٱلسَّلْفَادُورْ»

تَسْتَغْفِرُ شَعْبَ «ٱلسَّلْفَادُورْ»

يَبْكِي نَفْطُ ٱلصَّحْرَاءِ

يَبْكِي ٱلْحَرَكَهْ

قُدْسِيَّتَهَا . . . قِيَمَ ٱلْحَرَكَهْ

(*) يوري غاغارين: (١٩٣٤ ـ ١٩٦٨) فضائي سوفياتي قام بأوّل رحلة فضائية في التّاريخ، سنة ١٩٦١م. قُتل في حادث انفجار طائرة.

أَتَصَفَّحُ تَارِيخَ ٱلشَّرْقِ

أَتَصَفَّحُهُ، مَعْكُوساً، تَارِيخَ ٱلشَّرْقِ

ٱلتَّابِلُ جَاءَ مِنَ ٱلْغَرْبِ

بَصَمَاتُ ٱلْخَيَّالِ ٱفْتَقَدَتْ حَتَّى صِفَةَ ٱلْوُكَلَاءْ

لَبِسَ «ٱلتِّلْفَازُ» ثِيَاباً فَخَّارِيَّهْ

وَٱلْأَوْتَارُ ٱلْمَخْمُورَةُ تَصْخَبْ

وَدُمُوعُ «صَلَاحِ ٱلدِّينِ» تَفُورُ مِنَ ٱلْقَبْرِ

وَٱلْأَنْهَارُ ٱلسَّوْدَاءُ تَصُبُّ بِأُقْيَانُوسِ ٱلشَّمْسِ ٱلسَّوْدَاءِ

تَعِبَ ٱلْخَيَّالُ مِنَ ٱلسَّفَرِ

قَدْ ضَاجَعَ كُلَّ تَمَاثِيلِ ٱلْغَرْبِ

أَنْهَكَهُ تِمْثَالُ ٱلْحُرِّيَّهْ

أَنْهَكَهُ لَيْلُ ٱلْحُرِّيَّهْ.

ٱلْجَلِيدُ يَهْرُبُ مِنَ ٱلشَّمْسِ

عَالَمُنَا يَسْتَوْطِنُ ٱلْكُهُوفْ

عَالَمُنَا غَابُ سُيُوفْ

وَغَابَةُ ٱلْخَنَاجِرْ

يَا وَيْلَ سَلَاحِفِهِ،

إِنْ كَانَتْ مِنْ دُونِ ٱلثَّوْبِ ٱلْعَظْمِيّ

عُنُقِي، لَنْ أَتْرُكَ عَارِيَةً فِي غَابَاتِ ٱلأَمَازُونْ

لَبِسَ ٱلرِّيشُ ثِيَابَ ٱلْعَاصِفَهْ

ٱلظُّلْمَةُ تَلْبَسُ ثَوْبَ ٱلرِّيحْ

يَتَوَلَّدُ، فِي قَلْبِ ٱلْحَاسِبَةِ، ضَمِيرُ ٱلْبُركَانِ ٱلأَهْوَجْ

وَبَاضَتِ ٱلأَرْقَامُ أَحْشَاءَ ٱلْجَحِيمْ

وَيَحُوم ٱلْغُولُ ٱلْمَاسِيُّ

وَيَعُومُ ٱلْغُولُ ٱلْفِضِيُّ

وَيَدِبُّ ٱلْغُولُ ٱلْفُولاَذِيّ

فِي ٱلْمَصْرِفِ قَالَبُ مِخْلَبِهِ

وَسَرِيرُ ٱلْغُولِ يَنَامُ بِأَحْضَانِ ٱلْمَصْرِفْ

أَقْدَامُهُ ضَوْئِيَّهْ

ذِرَاعُهُ ضَوْئِيَّهْ

إِنْ شَاءَ حَوَّلَ أَرْضَنا قِدْراً تَفُورْ

ٱلْمَوْتُ فِي «أَفْرِيقْيَا» يُعَاقِبُ ٱلتَّارِيخْ

وَأَصْبَحَ ٱلشَّقَاءُ جَلاَّدَ ٱلزَّمَانْ

ٱلْوَقْتُ أَضْحَى مَقْبَرَةً

مِنْ جُوعِهَا، دَنَتِ ٱلشِّفَاهُ مِنَ ٱلزَّوَالْ،
وَغَارَتِ ٱلأَثْدَاءْ
فِي «أَمْرِيكَا» ٱللاَّتِينِيَّهْ
اَلْكَوْنُ بِطَاقَاتُ دُخُولٍ قَدْ زَوَّرَهَا قَلْبُ ٱلصَّرَّافْ
اَلْبَرَاكِينُ مَزَارِعْ
تَتَصَحَّرُ غَابُكِ «إِفْرِيقْيَا»
يَتَصَحَّرُ خَدُّكِ «أَمْرِيكَا» آللاَّتِينِيَّهْ
تَتَصَحَّرُ غَابُكِ «أَفْرِيقْيَا»
وَيُثَقَّبُ جَوْزُ ٱلْهِنْدِ، وَيُرْتَشَفُ ٱلْمَاءُ ٱلْمَخْزُونْ
يُمْتَصُّ ٱلنَّبْضُ مِنَ ٱلْغَابَاتْ
وَجَرَادُ ٱلْغَرْبِ يُقَشِّرُ أَغْصَانَ ٱلْوَرْدِ
وَجَلِيدُ ٱلْقُطْبَيْنِ تَجَمَّعْ
وَتَحَجَّرَ خَدُّ ٱلْعُشَّاقِ

اَلْعِلْكَةُ بَاعَتُهَا نَبَتُوا بِشَوَارِعِ «لِيما»* وَ «اَلْمَكْسِيكْ»

اَلسُّنونُو، فِي «اَلْبَرَازِيلِ» تُهَجَّرْ

وَيُجَفَّلُ قَلْبُكَ يَا «نَيْسَانْ»

وَجُفُونُ سَنَابِلِهَا تَرْتَاعُ مِنَ اَلْغُولِ

فَتُكَسَّرُ أَقْدَامُ اَلأَعْيَادْ

تُقَهْقِهُ مَهْزَلَةُ اَلتَّارِيخْ

اَلْمَيْتَمُ يَرْعَاهُ اَلتُّجَّارْ

قُلُوبُ اَلْمُرَابِينَ تَرْعَى اَلْيَتَامَى

«مَكْنَمَارَةُ» (**) يَسْقِي بُسْتَانَ اَلحُرِّيَّهْ

وَ«أَبُو اَلْحِنَّاءِ» مَشْغُولٌ بِظِلِّهْ

وَبِأَلْوَانِ وَأَشْكَالِ وَأَحْجَامِ اَلْكَرَاسِي

(*) لِيما: عاصمة جمهورية «بيرو» في أميركا الجنوبيّة.

(**) مكنمارة: مدير البنك الدّوليّ، لدى إعداد هذه القصيدة.

فِي بِلَادِ ٱلْعُرْبِ،مَشْغُولٌ بِظِلِّهْ

وَيَظُنُّ حُمْرَةَ صَدْرِهِ صُنْدُوقَ فُرْجَهْ

يَقْتَاتُ بِمِقْيَاسِ ظِلَالِهْ

وَيُسَوِّرُ، بِٱلظِّلِّ، ٱلأَوْطَانْ

وَيَظُنُّ بِأَنَّ ٱلصَّدْرَ ٱلأَحْمَرَ يَرْفَعُ هَامَاتِ ٱلْجَبَلْ

فَٱلسَّاعَةُ فِي أَيْدِي ٱلأَعْمَى.

السِّلْمُ يَغْتَالُ ٱلْحُقُوق

فِي «وَاشِنْطُنْ»
قَصَدْتُ مُزَيِّنَ شَعْرٍ
وَحِينَ جَلَسْتُ، لِأَحْلِقَ شَعْرِي
أَشَرْتُ إِلَيْهِ، وَقُلْتُ تَعَجَّلْ
يُرْضِينِي أَنْ يَبْقَى رَأْسِي، فِي أَيْدِي ٱلْغَيْر، لِأَقْصَرِ وَقْتْ
أَتَخَيَّلُ كَيْفَ تَكُونُ ٱللُّقْمَةُ، فِي أَيْدِي ٱلْغَيْر
وَكَيْفَ تَكُونُ وَظَائِفُ قَوْمٍ رَهِينَةَ تَاجِرْ
هَلْ تُثْمِرُ أَشْجَارُ «ٱلْمَانْجَهْ»، فِي جَوٍّ قُطْبِيٍّ بَارِدْ؟
فِي «وَاشِنْطُنْ»

مِنْ وَالِدَيْهِ، ٱلْإِبْنُ يَبْتَاعُ ٱلْقُبَلْ،

مِنِ ٱبْنِهَا، اَلْأُمُّ تَبْتَاعُ ٱلْقُبَلْ

لَاتُلْهِيهِمْ قُبَلُ ٱلْأَطْفَالِ بِوَاشِنْطُنْ

فَٱلْفُنْدُقُ أَسْعَارُ ٱلصَّرْفِ

لَاتُلْهِيهِمْ قُبْلَةُ طِفْلٍ وَهْوَ يَنَامْ

بِحَبَّةِ قَمْحٍ تَبِيعُ ٱلْحَسَاسِينُ رِيشَاتِهَا

بِحَبَّةِ مَاسٍ تَبِيعُ ٱلْحَسَاسِينُ أَصْوَاتَهَا

وَٱلسِّلْمُ يَغْتَالُ ٱلْحُقُوقْ

وَٱلْحَقُّ وَٱلرَّشَّاشُ تَوْأَمَانْ

لَا، لَيْسَ يُصَانُ ٱلْحَقُّ، إِذَا قُطِعَ ٱلتَّيَّارْ

لَا، لَا يُحَيِّيكَ ٱلصَّدِيقُ إِذَا رَآكَ وَلَمْ تَرَهْ

لَا تُزْهِرُ أَشْجَارُ «ٱلْمَانْجَهْ»

فِي جَوٍّ قُطْبِيٍّ بَارِدْ.

ضَحِكَ ٱلصَّغِيرُ

ضَحِكَ ٱلصَّغِيرُ بِكَوْنِنَا،
فَتَعَمَّرَتْ مُدُنُ ٱلْهَنَاءْ

نَبَعَ ٱلشُّرُوقُ بِعَيْنِهِ ٱلْـ
يُمْنَى، وَفِي ٱلْيُسْرَى ٱلْمَسَاءْ

خَدِرَ ٱلتُّرَابُ بِخَطْوِهِ
وَبِخَطْوِهِ ٱزْدَهَرَ ٱلرَّجَاءْ

يَا بَسْمَةَ ٱلطِّفْلِ ٱلْبَرِي
ءِ، تُزِيلُ، عَنْ صَدْرِي، ٱلْعَنَاءْ

هٰـــذِي أَمَـــانِـيـــنَـــا فَـــأَشْـ

ـعِـــلْهَـــا شُـــمُـــوعـــاً أَوْ ضِـــيَـــاءْ

كَـــتِـــفِـــي يُـهَـــدْهِـــدُ خَـــدَّهُ

وَبِـــخَـــافِـــقِـــي سَـــكَـــنَ آلْـــبَـــهَـــاءْ

كَـــآلـــرَّمْـــلِ يَـــغْـــفُـــو فِي آلـــشَّـــوَا

طِـــئِ ، عَـــاشِـــقـــاً أَحْـــضَـــانَ مَـــاءْ

بَرْقِيَّةٌ مِنْ «غَاغَارِينْ» إِلَى حَيِّ ٱلْمَالِ

مَا أَجْمَلَ ٱلْفَضَاءْ

مَعَابِرُ ضَوْءٍ بِلاَ مُنْتَهىً

أَتَخَيَّلُ وَجْهَ ٱلأَطْفَالِ

زُبْدَةَ «ٱلْكَاتُّو»، لَهَا قَلْبٌ وَعَيْنٌ وَحَنَاجِرْ

وَتُفَرِّخُ فِي خَدِّ ٱلأَطْفَالْ

صَاحَتْ رَائِحَةُ «ٱلْفَانِيلْيَا»

(*) يوري غاغارين (١٩٣٤ ـ ١٩٦٨م) فضائيّ سوفياتيّ، قام بأوّل رحلة فضائيّة في التاريخ. قتل في حادث انفجار طائرة.

فِي نَفَسِ ٱلأَطْفَالِ ، وَسَاحَتْ،
كَفُّ ٱلأَطْفَالِ يَنَابِيعُ ٱلزُّبْدَةِ،
يَنْبُوعُ «بَاكِمْبَوْدَرٍ»
مَا أَجْمَلَ ٱلْفَضَاءْ
مَعَابِرُ ضَوْءٍ، بِلاَ مُنْتَهىً
تَتَزَيَّنُ ٱلسَّماءُ بِٱلطُّيُورْ
يَقْتَاتُ ٱلأُفْقُ بِحَنْجَرَةِ ٱلْحَسُّونْ
أُذْنِي سَمْعُ
لَمْسُ
شَمٌّ
عَيْنٌ
وَٱلأُذْنُ تَذُوقُ وَتَسْكَرْ
اِسْمَعْ يَا حَيَّ ٱلْمَالْ

أَتَخَيَّلُ أُفْقاً لاَ مَحْدُوداَ

وَمَسَامَّ ٱلْبَيْضَةِ يَنْبُوعاً

يَسْقِي أَنْفَاسَ ٱلأَمْوَاجِ

لِبَلاَبِلَ تَغْفُو فِي ٱلْبَيْضَهْ

فَنِظَامٌ شَاءَ لِعَيْنِي سِوَاراً مِنْ أَهْدَابْ

وَنِظَامٌ يَحْمِي ٱلنَّبْضَ بِسُورٍ مِنْ أَضْلُعْ

يَعْرِفُ مَاذَا يُرِيدْ

فِي «بطرسبورغَ»(*) ٱلشَّمْسُ تَوَزِّعُ قَبْضَاتِ ٱلْبَارُودْ

فِي سَاحَاتِ «ٱلْبَاسْتِيلْ»(**)

قَمَرُ ٱلْفُقَرَاءِ يُلاَمِسُ قَبْضَةَ سَيْفِ ٱلْحَقْ

اِسْمَعْ يَا حَيَّ ٱلْمَالْ

(*) عاصمة روسيا القديمة. اسمها الحديث لينينغراد.

(**) حصن في باريس كان معتقَلا للسّجناء خاصّة للسّجناء السّياسيّين. خرّبه الثّوّار في ١٤ تموز عام ١٧٨٩م. ومن تلك السّنة أرّخوا عهد الثورة الفرنسيّة.

غَابَاتُ ٱلْبُومِ تُقَرِّحُ عَيْنَ ٱلْقَانُونِ
فِي «تُوكْيُو»، فِي «لَنْدَنْ».
فِي «وُولِ سْتْرِيتْ»
وَيُدَاوِلُ ٱلتِّلْفَازُ لُعْبَةَ مَيْسِرٍ، فِي كُلِّ بَيْتْ
وَيُزَاحِمُ مَكْتَبَةَ ٱلأَطْفَالِ قُبَيْلَ ٱلنَّوْمْ
وَسِبَاقُ ٱلْخَيْلِ يُضَاجِعُ أَفْكَارَ ٱلْفِتْيَهْ
فِي مَحْكَمَةِ ٱلتِّلْفَازِ تُحَاكُ شَهَادَاتُ ٱلزُّورِ
وَشَهَادَةُ ٱلزُّورِ ٱلْقَبِيحَةُ تَصْفَعُ ٱللَّيْلَ ٱلْمُنَدَّى
لَبَنُ ٱلأَطْفَالِ يُبَارِزُ أَلْفَ شَهَادَةِ زُورْ
يَا رِيشَةَ كُفْرٍ تَسْرِقُ كُحْلَ جُفُونِ ٱللَّيْلْ
لُفَافَةُ تَبْغٍ تُكَذِّبُ أُخْرَى
كَأَنَّ ٱلْحَيَاةَ لُفَافَةُ تَبْغٍ . . . زُجَاجَةُ وِيسْكِي
يَهْزُلُ ٱلْعِيدُ، وَكَعْكُ ٱلْعِيدِ يَضْمُرْ

قِنْدِيلُ رَأْسِ ٱلْعَامِ يَخْبُو
سَرْوَةُ ٱلْمِيلاَدِ تَصْغُرْ
وَتُكْسَرُ أَجْنِحَةُ ٱلْمُوسِيقَى ٱلزَّهْرِيَّهْ
فِي غُرَفِ ٱلأَحْبَابْ
يَنْدَى، فِي ٱللَّيْلِ ، جَبِينُ ٱللَّيْلْ
فِي ٱلصُّبحِ تُبَاعُ ٱلْمُوسِيقَى
فِي ٱلْخَوَابِي، تُزْرَعُ ٱلْغَصَّاتُ، فِي ثَغْرِ ٱلنَّبِيذِ
يُخْنَقُ زَيْتُ ٱلزَّيْتُونِ
وَجُذُورُ مَصَارِفِكُمْ، تَمْتَصُّ طَحِينَ ٱلْكَعْكْ
تَمْتَصُّ نَبِيذَ خَوَابِينَا
تَمْتَصُّ ٱلنُورَ ٱلْغَافِيَ، فَوْقَ سَرِيرِ ٱلأَطْفَالِ
فِي ٱلتِّينِ ٱلْيَابِسِ حِينَ يُوَزَّعُ حَوْلَ هُمُومِ ٱلْمَوْقِدْ
تُسْقَى غُصَّهْ

اِسْمَعْ يَا حَيَّ ٱلْمَالْ

فِي «كَابْ كِنِدِي».

ٱلْهَاتِفُ، سَمَّاعَاتُ ٱلْهَاتِفِ تَبْصُقْ

لِأَنَّهَا فِي غَيْرِ غَايَتِهَا تُدَارْ

اِسْمَعْ يَا حَيَّ ٱلْمَالْ

الشَّمْسُ تَذْبَحْ نَفْسَهَا

كَيْ تَرْسُمَ ٱللَّوْحَ ٱلْجَمِيلَ، لَدَى ٱلْغُرُوبْ

لَكِنَّ تِلْفَازَ ٱلتِّجَارَةِ يَصْفَعُ ٱلشَّفَقَ ٱلشَّهِيدْ

اِسْمَعْ يَا «وُولِ سْتْرِيتْ»

يَا نُجُومُ ٱشْهَدِي

يَا شُمُوسُ ٱشْهَدِي

يَا بِحَارُ ٱشْهَدِي

يَا أُفُقاً لَيْسَ لَهُ مِنْ حُدُودْ

اِشْهَدْ أَنَّا نَتَحَدَّاهُمْ، فِي سَاحَاتِ ٱلْفِكْرِ ٱلْحُرِّ

يَتَحَدَّى زَنْدُ ٱلْفِكْرِ ٱلأَخْضَرِ فِي سَاحَاتِ ٱلْحُرِّيَّهْ

يَتَحَدَّى فَلْسَفَةَ ٱلشَّرِكَاتِ عَلَى ٱلتِّلْفَازِ وَفِي ٱلرَّادْيُو

وَبِرُغْمِ سَبَائِكَ مِنْ ذَهَبٍ تَتَكَدَّسُ فِي جَيْبِ ٱلْبُطْلانْ

يُنْهَبُ ٱلتَّارِيخُ فِي «ٱلْهِنْدْ»

وَفِي «هُونْغْ كُونْغَ» يُسْتَهْوَى ٱلْبَغَاءُ

«طَاغُورُ»(*) مَنْهُوبٌ، وَ «كُونْفِشْيُوسُ»(**) مَصْلُوبُ

ٱلْمَصِيرْ

بِلِقَاحِ ٱلنَّوْمِ يُلَقِّحُ «لُورَنْسُ»(***) ٱلصَّحْرَاءْ

وَيُوَلِّدُ مُهْراً عَرَبِيّاً

(*) طاغور (١٨٦١ ـ ١٩٤١م) شاعر هنديّ، امتاز شعره بروح التّديّن والوطنيّة

(**) كونفوشيوس (نحو ٥٥١ ـ ٤٧٩ ق. م.) فيلسوف صيني.

(***) توما لورنس (١٨٨٨ ـ ١٩٣٥م.) سياسي إنكليزي وضابط مخابرات، اتصل بالأمير فيصل في حرب ١٩١٤.

فَتَصَادَقَ ٱلصَّقْرُمَعَ ٱلْعُصْفُورْ

اِسْمَعْ يا حَيَّ ٱلْمَالْ

أَرَّقْتُمْ نَهْرَ ٱلأَمَازُونِ

أَرَّقْتُمْ نَهْرَ ٱلنِّيلْ

أَتَخَيَّلُ أُفْقاً لاَ مَحْدُودَا

وَجَدَاوِلَ أَلْسِنَةِ ٱلأَفْكَارْ

وَجَدَاوِلَ أَلْسِنَةِ ٱلْعُلَمَاءْ

تَتَلاَقَى فِي وَتَرٍ صَوْتِيْ

تَتَلاَقَى فِي بَحْرِ ٱلْعِلْمِ ٱللاَّمَحْدُودْ

فَلِأَنِّي أُنْشِدُ لِلْفُقَرَاءْ

نَجْمِي لِلأَنْجُمِ بُوصِلَةٌ

لِأَنَّ ٱلْكَوْنَ يُولَدُ مِنْ جَدِيدْ

ٱللَّوْنُ ٱلْكَاكِي أَصْبَحَ قِدِّيساً شِرِّيراً

حَتَّى إِنْ كَانَ عَلَى صَدْرِ ٱلْأَحْبَابْ
إِنْ كَانَ عَلَى صَدْرِ ٱلْأَبْنَاءْ
إِنْ كَانَ عَلَى صَدْرِ ٱلْإِخْوَهْ
إِنْ كَانَ عَلَى صَدْرِ ٱلْأُمِّ
حَتَّى إِنْ كَانَ كَشَالٍ يَغْفُو فِي خَصْرِ ٱلْعُشَّاقْ
يَا «وُول سْتْرِيتْ».
أَتُحَاوِلُ نَصْبَ سُدُودٍ لِلشَّمْسِ؟
أَتُحَاوِلُ نَصْبَ سُدُودٍ لِلأَنْجُمْ؟
وَتَفْتَحُ سُوقاً لِبَيْعِ ٱلصَّبَاحْ
وَتَفْتَحُ سُوقاً لِبَيْعِ ٱلْمَسَاءْ
أَتَخَيَّلُ وَجْهَكَ «جِيفَارَا» يَدْخُلُ «هَاڤَانَا» مُنْتَصِراً
يَحْمِلُ رَشَّاشاً أَخْضَرْ
يَلْبَسُ ثَوْبَ ٱلْفَلَّاحِينْ

سُنْبُلَةً مَعْ قَلَمٍ مُعْتَصِرٍ

زَمَنَ ٱلتَّكْوِينِ، بِدَايَتَهُ وَنِهَايَتَهُ

وَنِهَايَةَ ٱللاَّ مُنْتَهَى

«جِيفَارَا» يَجْلِدُ تِمْثَالَ ٱلظُّلْمَهْ

يُصْبِحُ ٱلنَّقْدُ قُصَاصَاتٍ، خُرَافَاتِ أَوَائِلْ.

شَفَتِي زَوْرَقُهَا

ظِـلُّنَـا فَـاحَ، فَـزَغْـرِدْ يَـا حَـبِـيـبْ
وَٱنْشُرِ ٱلـشَّـهْـدَ عَـلَى كُـلِّ ٱلـدُّرُوبْ
يَـامُـرُوجـاً حَـارَتِ ٱلـطَّيْرُ بِهَـا
حَـيْـرَةَ ٱلْـعَـاجِ عَـلَى عُـنْـقِ ٱلْحَـبِـيـبْ
يُمْـسِـكُ ٱلـطِّفْـلُ بِشَيْءٍ عِـنْـدَمَـا
يَـدْرُسُ ٱلْمَشْيَ بِـأَدْرَاجِ ٱلْـسُّـهُـوبْ
وَأَنَـا أَلْمَسُ زَنْـداً حِـيـنَـمَا
أَصْـحَـبُ ٱلْحُـبَّ إِلَى وَادِي ٱلـطُّيُـوبْ

يَـا بِـحَـاراً مِـنْ بَـخُـورٍ ذَائِـبٍ
شَـفَـتِي زَوْرَقُـهَـا عِـنْـدَ آلْـغُـرُوبْ
هَـبَطَ آلـدُّرِوي عَـلَى أَكْـتَـافِـنَـا
تَـرَكَ آلـسَّـرْوَ وَأَنْـسَـامَ ٱلْمَـغِـيـبْ
سُـلَّمُ آلـنَّـوْمِ رَنَـا فِي زَنْـدِهَـا
خَمَّـرَ ٱلْمَـوَّالَ فِي آلْـقَـلْبِ آلـسَّـلِيـبْ
عَـلِّمَ آلـنَّـايَ لُـثَـيْـغَـاتِ آلْهَـوَى
عَـلِّمَ آلْجِـلْدَ آرْتِـعَـاشَـاتِ آلـدَّبِـيـبْ
هَـلَّلَ آلـلَّمْسُ لِـصَـحْـوِ ٱلْمُـنْـحَـنَى
وَآسْـتَـغَـاثَ آلْخُـلْدُ مِـنْ وَهْـجِ آلـلَّهِـيـبْ
مُـتْـحَـفَ آلْأَزْمَـانِ ، إِنِّي هَـا هُـنَـا
عَـلِّمِ آلسِّرَّ لِمِـفْـتَـاحِـي آلـطَّرُوبْ
سَـوَّرَ آلْـعَـاجُ نُـجُـومِـي وَهَمَـى
أَخْضَرَ آلـضَّـوْءِ، فَـأَهْـلًا بِـالـطَّبِـيـبْ.

اَلنِّظَامُ ٱلرَّأْسِمَالِيُّ

فِي ٱلنِّظَامِ ٱلرَّأْسِمَالِيْ   يَنْظُرُ ٱلْقَوْمُ لِمَا لِ

قِيمَةُ ٱلْإِنْسَانِ قِيسَتْ بِثِيَابٍ وَنِعَالِ

قِيمَةُ ٱلْإِنْسَانِ رِزْقٌ عَكْسَ مَا يُضْمِرُ بَالِي

فِي ٱلنِّظَامِ ٱلرَّأْسِمَالِي رَقَمُ ٱلْإِجْرَامِ عَالِ

«آدَمُ سْمِيثُ*» دَعَانَا لِسِبَاقٍ وَسِجَالِ

ثُمَّ أَوْصَى بِٱلتَّحَدِّي بَيْنَ سَبْعٍ وَغَزَالِ

(*) آدم سميث: (١٧٢٣ ـ ١٧٩٠م.) من كبار المفكّرين الاقتصاديّين البريطانيّين. من دعاة الحريّة الاقتصادية.

وَدَعَــانَـا لِسِجَــالٍ بَــيْنَ عَقْــلٍ وَخَبَــالِ

هَـلْ يُسَاوَى مَـالِكُ «بَنْكـاً» بِمَنْ جَيْبُهُ خَـالِ

أَيُسَـاوِي مَالِـكَ ٱلتِّلْفَـازِ، فِي دُنْيَـا ٱلْمَقَـالِ ،

بِٱلَّذِي لَا يَمْلِكُ ٱلْقِـرْطَاسَ أَوْ حَقَّ ٱلسُّؤَالِ ؟

أَيُسَاوِي ٱلسَّيْفَ بِٱلصَّارُوخِ ، فِي دُنْيَـا ٱلْقِتَالِ ؟

مَـا وَرَائِيَّاتُ «مَـاخٍ*» سَعَّرَتْ نَـارَ ٱلْجِـدَالِ

أَيُّهَــا ٱلْعَقْــلُ تَـبَصَّرْ وَتَـدَبَّـرْ أَمْــرَ حَــالِي

قِـيَمُ ٱلْأَشْـيَــاءِ تَبْـنِيـهَــا إِرَادَاتُ ٱلْعِـيَــالِ

هَــلْ حِـرَاكٌ دُونَ شَيْءٍ، دُونَ ذَرَّاتٍ تُــوَالِي

فِي ٱلْهَيُـولَى وَٱلْخَلَايَـا، خُلِقَ ٱلْعَقْـلُ ٱلْمُبَـالِي.

إِنَّـنِي آمَـنْـتُ بِــٱللهِ ٱلْـعَــظِيـمِ ٱلْمُـتَـعَــالِي

---

* ماخ، أرنست (١٨٣٨ ـ ١٩١٦) فيلسوف وفيزيقي نمساوي، أنشأ نظريّـة تـعـرف بمـبـدأ الاقـتـصـاد.

هُــوَ فِي دَفْقِ ٱلْهَيُـولَى مَــالِئــاً كُــلَّ مجَــالِ

وَحَــوَاسُّ ٱلْمَرْءِ تجْنِي كُــلَّ فِكْــرٍ وَخَيَــالِ

لَمْ تَــقُــمْ حَــرْبٌ ضَرُوسٌ أَبَــداً إلَّا لِمَــالِ

إنَّ كُــلَّ ٱلشَّرِّ وَٱلْأَحْقَـادِ فِي مُلْكِ ٱلْغِــلَالِ

وَصِرَاعُ ٱلسُّـوقِ أَغْـوَى، فَجَنَى كُـلَّ وَبَـالِ

لَيْسَ مِنْ تَقْوى وَمِنْ صِدْقٍ بِصَدْرِ ٱلرَّأْسِمَالِي

لَيْسَ يخْفِي ٱلْجَارُ لِلْجَارِ سِوَى سُمِّ ٱلنِّصَالِ

لَا يَقُــومُ ٱلْحُبُّ بَــيْنَ ٱلنَّــاسِ إلَّا بِنَــوَالِ

إنَّ رُكْنَ ٱلْحُبِّ نَفْعٌ، هُوَ فِي صُلْبِ ٱلْـوِصَالِ

إنَّ ثَوْبَ ٱلْعُرْسِ أَغْلَى مِنْ عَرُوسٍ وَخِصَالِ

وَهْــوَ أَغْــلَى مِـنْ عُـلُومٍ وَفُنُــونٍ وَجَمَــالِ

جُمِـعَ ٱلْقَـوْمُ فَحَــارُوا بَـيْنَ هَــزْلٍ وَهُـزَالِ

إنَّ مَنْ صَمَّمَ زِيّـاً سَـادَ فِي رَوْضِ ٱلــدَّلَالِ

هُــوَ «دِكْتَـاتُــورُ» دُنْيـاً مَلَكَتْ كُــلَّ عِقَـالِ

وَهْــوَ «دِكْتَـاتُـورُ» دُنْيـاً لاَعَبَتْ كُـلَّ ٱلْجِبَـالِ

فَـأَنَـا حُــرِّيَّتِي ضَـاعَتْ إِذَا خَــارَتْ سِـلاَلِي

أَيُّهَـا ٱلطَّاوُوسُ؛ مَهْـلاً، فَغَـداً يَعْلُو نِضَـالِي

أَيُّهَـا ٱلتَّـاجِـرُ: مَـا جُمِّـعَ مَـالٌ مِنْ حَــلاَلِ .

طِفْلٌ ضَائِعٌ

يَــا نَــاحِــتــاً قَــلْبِــي كَــمَا يَخْــتَــارُ
كَــالــطِّــيــبِ يَــأْسِرُ نَــحْــلَةً فَــتُــدَارُ
بِــلَّوْرَةُ ٱلْقِــنْــدِيــلِ يُــفْــرِحُ قَــلْبَــهَــا
أَلَمُ ٱلْحَــرِيــقِ أَتَــتْ بِــهِ ٱلْأَنْــوَارُ
نَفَــرَ ٱلْهَــدِيــلُ بِشَعْــرِهَــا وَشِفَــاهِهَــا
وَبِــجِــلْدِهَــا قَــدْ عَــشَّشَ ٱلْــقِــيــثَــارُ

وَصَــغِــيــرَتِي قَــلْبٌ يِــنِطُّ مُجَــنَّــحُ

وَعَــلَى آلــرَّصِــيــفِ مُــدَلَّــعٌ مِــعْــطَارُ

رِئَــةُ آلــزَّمَــانِ تَــعَــطَّرَتْ، وَإِرَادَتِي

طَــوْعــاً وَقَــهْــراً، حَــوْلَهَــا تَــنْهَــارُ

وَأَنَــا كَــطِفْــلٍ ضَــائِــعٍ قَــدْ ظَــنَّهَــا

أُمّــاً لَــهُ؛ فَــتَــبَــارَكَ ٱلْمِــشْــوَارُ

وَتَــنَــفَّسَ ٱلْــعَــاجُ آلْحَــبِــيــبُ بِــبُــرْدَةٍ

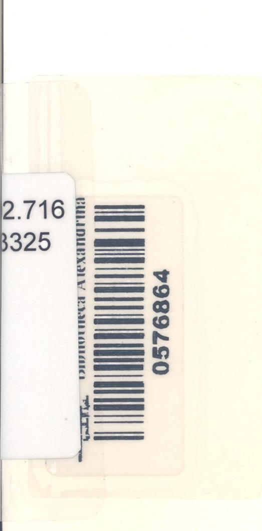
مِــنْــهُ، عَــلَيْــهِ تَــنْــحَــنِي وَتَــغَــارُ

آلْخُــفُّ يَــسْــتَــهْــوِي، فَــيَــا دَرَجُ آسْــتَــقِــمْ

آلْحُــبُّ صَــلَّتْ حَــوْلَــهُ آلأَحْــجَــارُ

الفهرس

الإهداء ٥
من أين، ومتى؟ ٩
الحب والفضيلة ١٧
الوردة الخضراء ٢٣
يا قلب التاجر ٢٥
عروبة لبنان ٢٩
قلق الانسان ٣٣
نشيد الطفل ٣٩
الخيال العائد من الغرب ٤٣
الجليد يهرب من الشمس ٤٩
السِّلم يغتال الحقوق ٥٥
ضحك الصغير ٥٧
برقية من «غاغارين» إلى حي المال ٥٩
سفني زورقها ٦٩
النظام الرأسمالي ٧١
طفل ضائع ٧٥


2.716
3325
Bibliotheca Alexandrina
0576864